
12me Année No. 553 . | Lundi - 7 - 2 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٣ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
١٢١ عـلامات الزمن ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٢٤ بركة خان أول مسلم من ملوك التتار ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٢٦ طاقات ريحان : هدية إلى شعراء في هذا الزمان .. .. : لأستاذ جليل ... ...
١٢٨ أخبـار أبي تمام ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ..
١٣٠ علي محمود طه شاعر الفن والجمال .. .. : الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٣٢ ستاندال والحب ... ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد ...
١٣٤ منصب الوزير في مصر الفرعونية .. .. : الدكتور باهور لبيب ... ...
١٣٥ من أحلام الصحراء [قصيدة] : الأديب محمد العلائي ... ...
١٣٦ ليلى والمجنـون ... ... : الدكتور محمد مصطفى ...
١٣٨ حول لفظ « الفشل » ... : الأستاذ الكبير « ا . ع » ...
١٣٩ (١) هل عرفنا المؤلف ؟
١٤٠ (٢) أول غلط ... .. : « عدنان » ... ...
١٤٠ أدبي أدب حق ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٠ إصلاح تطبيع ... ... : ... ...

علامات الزمن

للأستاذ عباس محمود العقاد

للزمن علامات في أقوال الشعراء والأدباء
ولأقوال الشعراء والأدباء علامات في الزمن

ولكن العلامات التي تصدق في دلالتها ، ويقل خطأها في إشاراتها هي على الأعم الأرجح علامات الصناعة دون علامات الطبيعة

لأن الطبيعة الإنسانية تتشابه في جميع الأزمان وتتماثل فيها الخصائص والعيوب بين جميع الأجيال ، فلا يقال إن السخف وقف على عصر دون عصر ، ولا إن الركاكة مقصورة على جيل دون جيل ، وإن هذا البيت لا يمكن أن يصدر عن شاعر في الجاهلية لأنه سخيف ، أو لا يمكن أن يصدر عن شاعر متأخر في القرن التاسع عشر لأنه متين ظاهر الفحولة ، فهذه علامات لا تقطع بالقول الفصل على وجه اليقين ، ولكنها تذكر للاستئناس كما يقال في لغة الفقهاء والمحامين ، إذ يوجد السخف لا مراء في كلام الجاهلية كما توجد القوة والجزالة في كلام المتأخرين

إنما العلامات القاطعة في دلالتها التاريخية هي علامات الصناعة اللفظية والمعنوية على اختلافها في جميع اللغات ؛ لأن المسمطات والموشحات وضروب التطريز والتشطير والتوشيع

قد ظهرت عندنا فى اللغة العربية على عهود معلومة تنحصر بالسنوات فضلاً عن الحقب والفترات . فلا يعقل أن يتكرر الجناس الكامل فى الشعر الجاهلي ولا أن تصدر أفانين التوشيح عن مخضرم أو متقدم بين الأمويين . وقل مثل ذلك فى كل علامة صناعية مرجعها إلى زمن معلوم

أما الركاكة أو السخف أو الإعياء أو اختلال الوزن فكل أولئك قد يوجد فى الجاهلية كما يوجد فى عصور المماليك . ورب بيت لشاعر من شعراء العصر الأول تسلكه بين أبيات النظامين من مداح الريف فلا تشعر بغرابته بينها . كقول حسان مثلاً :

ويحسبنا فخراً على من غيرنا   حب النبي محمد إيانا

أو بيت عريق فى القدم لو ألقيته على لسان خليع من خلعاء الأزبكية لجاز أن يكون من كلامه إذا نظرنا إلى الخلاعة والمجون ، كقول الأعشى :

قالت أميمة لما جئت زائرها   ويلي عليك وويلي منك يارجل

فهذا البيت هو بعينه ترجمة « يا دهوتى عليك ويا دهوتى منك يا راجل انت » التى تقطر بخلاعة المحدثين ، إذا كانت المسألة مسألة عيب من عيوب النفس والمزاج

ولن يؤخذ بعلامة التفاهة والجزالة مأخذ اليقين كما ليس يؤخذ بها هذا المأخذ فى باب الركاكة والإسفاف

فالبارودي مثلاً يقول فى إحدى معارضاته :

ألا حى من أسماء رسم المنازل   وإن هى لم ترجع بياناً لسائل
خلاء تعفتها الروامس والتقت   عليها أهاضيب الغيوم الحوافل
فلأياً عرفت الدار بعد ترسم   أراني بها ما كان بالأمس شاغلي
فلما عرفت منها بعد تزيال أهلها   معارف أطلال كوحى الرسائل
فأسبلت العينان منها بواكف   من الدمع يجرى بمدسح بوابل

والشيخ محمد عبد المطلب يقول :

لنا بالقوى مغنى عهدناه آهلاً   سقى الله روضات به وخمائلا
كساه السحاب الجون من نسج نبته
عقود جمان نظمت وغلائلا

أو يقول :

دعته العلا أن الثواء من الوهن   فأسلم أرسان الركاب إلى الظعن
وأرسلها فى ذمة الشوق فانبرت   ضوادي تنسيها اللغى أحسن الرن

والسيد البكرى يقول :

ســـقى دور مية بالأجرع   مسف من الدجن لم يقلع
ولو ترك الشوق دمعاً بجفني   سقيت المنازل من أدمعى

ويروى مثل هذا الشعر لفئة من المحدثين لا يعدون الفترة العارضة بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

فاذا لو أن ناقداً من المتحذلقين الذين يختطفون القول فى علامات الزمن خطف البيتاوات رجع إلى مقاييسه الخاطفة فأنكر نسبة هذا الكلام إلى عصره وزعم أنه أشبه بعصور البداوة وأقرب إلى خولة الجاهليين أو المخضرمين ؟ ! بل ماذا لو أضاف إلى ذلك أمثلة من الشعر والنثر الشائعين فى هذه الفترة ، فقال جازماً إن الأسلوبين لا يصدران عن عصر واحد ؟

إنه لو قال ذلك لكانت حجته أقوى وأسلم من حجة القائل أن شاعراً فى العصر الإسلامى الأول لا يتأتى أن ينظم هذا البيت !

لواحي زليخا لو رأين جبينه   لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

لأنه فى زعمه بيت تعوزه متانة الشعر فى ذلك العصر .

ولو صح أن المتانة تعوزه لما كان ذلك جازماً باستحالة نظمه فى عصر من العصور ، لأن عصراً من العصور الأولى أو الأخيرة لن يخلو من بيت ركيك أو سخيف

ومن المصادفات الحسنة أن كلامنا فى الخلاف على صاحب هذا البيت يظهر فى الرسالة وفيها كلمة للأديب الداغستاني يذكر فيها أن مؤلفى « قصة الأدب » نسبا أبياتاً إلى كثير عزة وهى منسوبة فى كتاب الأغاني إلى بشار . ومنها هذا البيت :

يزهدنى فى حب عزة معشر   قلوبهم فيهـا مخالفة قلبى

وهناك قوم ينسبون الأبيات إلى ذى الرمة ويضعون « مية » فى موضع عزة من البيت المتقدم ، وبين العصرين دولة مضت بصدر الإسلام وأعقاب الأمويين . ومن الأبيات الثلاثة بيت يشير إلى النظر هو أليق ببشار الضرير حيث يقول :

فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وهناك أبيات ومقطوعات وموشحات ينسبها أناس إلى شعراء من الأندلس وينسبها آخرون إلى شعراء من بغداد

ولا سبيل إلى القطع بصواب النسبة إلا الرجوع إلى علامات الصناعة وعوارض البلدان ، أو الرجوع إلى دليل قاطع من العقل يبطل به النقل كل بطلان .

وصفوة القول أن علامات الزمن في الشعر إنما تؤخذ مأخذ اليقين إذا اتصلت بحدود الصناعة وأوقاتها ، ولكنها فيما عدا ذلك لا تبلغ مبلغ اليقين إلا بدليل قاطع من العقل أو دليل قاطع من النقل ، أو بالدليلين معاً مجتمعين . وليس من ذلك هذا الزعم الذي أتى به المعترضون على رواية البيت المنسوب إلى عروة ابن الزبير في كتابنا « الصديقة بنت الصديق »

***

وهؤلاء المعترضون يزعمون أنهم قد أتعبوا أنفسهم تقصياً للكتب المحترمة في السير والأدب والتاريخ فلم يعثروا على إشارة إلى القصة التي أنكروها جملة وتفصيلاً وحسبوها من تلفيق كتب الأسمار التي لا يطلعون عليها

ومع هذا لم تقتصر الإشارة إلى تلك القصة على رواية واحدة ولا على كتاب واحد من كتب السير والأدب والتاريخ « المحترمة »

فأخرج أبو نعيم في الدلائل والخطيب وابن عساكر فيما روى السيوطي في شرح شواهد مغني اللبيب ، قال رواية عن السيدة عائشة :

« ... كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت ، فقال ما لك بهت ؟ قلت جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ؛ ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره ، حيث يقول :

ومبرأ من كل غبّر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

فهذه رواية في كتب محترمة تذكر التمثيل بالشعر في وصف شمائل النبي ، وتذكر مناسبة التمثيل ويختلف فيها ناظم البيتين ، ولم يقل أحد أن أبا نعيم والخطيب وابن عساكر ومحمد بن قاسم حبيرى من أصحاب السمر الذين لا يذكرون مع كتاب التاريخ والسير ، ويضاف إليهم السيوطي صاحب التفسيرات والأمالي في النحو والعربية ؛ فأين جماعتنا إذن من الكتب المحترمة والاحترام ؟

***

ويذهب بنا القول في أدلة العقل والنقل حول كتابنا « الصديقة بنت الصديق » إلى مناقشة الأستاذ الصعيدي مرة أخرى فيما اعتمدناه من النقل المتواتر الذي لا يناقض العقل على ما نراه

فالعقل لا يمنع أن تراجع السيدة عائشة محمداً صلى الله عليه وسلم في أمر من الأمور ، ولا يمنع أن تخالفه في ضرب من الشعور ، ولا سيما شعور الغيرة التي بلغت أشدها بعد مولد إبراهيم من مارية القبطية

ومن المحقق بالمناسبات القرآنية أن النبي عليه السلام هجر نساءه شهراً لأنهن راجعنه وألححن في مراجعته في شؤون النفقة ، وفيما بينهن من التغاير والتناظر الذي تعددت أسبابه ومناسباته

ومن المتواتر في الروايات الموثوق بها أن عائشة كانت تراجع النبي لأنه كان يكرم ذكرى خديجة وهي تقول عنها إنها عجوز حمراء الشدقين ، وكان يميل إلى صفية وعائشة تقول عنها إنها قصيرة ، وكانت تزعم للنبي أنه أكل مغافير وهو لم يأكل المغافير

فهذه المراجعات والمناقشات لا ينفيها العقل ولا يستغربها ، بل نقيضها هو الأحق بالنفي والاستغراب ، لأنه مناقض لطبيعة الإنسان

ومهما يكن من قول النظام في معنى الواقع ومعنى التصديق فالواقع أن عائشة رضي الله عنها كانت تكذب لو أنها قالت إنها ترى شبهاً في إبراهيم وهي لا تراه . والواقع أن الغيرة تحجب النظر عن الشبه الذي يمتنع فيه الخلاف ؛ فكيف بالشبه الذي يجوز فيه الخلاف ؟ وأي شبه في طفل مولود لا يختلف فيه نظران ؟

كذلك لا غرابة في أن يدعو النبي عائشة أو غيرها إلى الاستغفار إن كانت ألمت ببعض الذنب ؛ فإن الاستغفار مطلوب

٢ ـ بركة خان

أول مسلم من ملوك التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

واستمرت المكاتبة والمهاداة بين الملوك من بني جوجر وبين سلاطين مصر زمناً طويلاً ، وقد فصلت كتب التاريخ بعض المراسلات بين الدولتين ولا سيا بين بركة والملك الظاهر بيبرس حين كان المسلمون في فزع من التتار وبخاصة هلاكو وأشياعه من الذين غزوا ديار المسلمين حتى استولوا على بغداد ثم تجاوزوا إلى الشام حتى وقف سيلهم بعد موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ ه

لما بلغت مصر أفواجُ التتار من أصحاب بركة الذين قدّمنا الكلام عنهم ، وعلم الملك الظاهر بيبرس بإسلام الملك بركة وعرف أحوال مملكته ومقرّ ملكه ؛ أرسل إليه رُسلاً معهم اثنان من التتار الذين قدموا إلى مصر

وحمل الرسل كتاباً إلى الملك بركة يرغبه في الجهاد ويحثه عليه ، ويصف له جند المسلمين وكثرتهم وأجناسهم ويذكر من في طاعة الملك الظاهر من ملوك الأقطار ، ومن هادنه وصالحه من ملوك الفرنجة وغيرهم ، ويخبره بقدوم التتار من أنصاره إلى الديار المصرية ، وأنه لم يأل في إكرامهم والحفاوة بهم ، وإنزالهم المنازل الرفيعة

جمع السلطان الأمراء والأعيان وأمر أن يقرأ عليهم الكتاب ، واستشارهم فيه ، فاستحسنوه

يقول القاضي ابن عبد الظاهر كاتب السلطان بيبرس :

« ولما كان يوم الخميس ثاني المحرم سنة ٦٦١ جلس السلطان مجلساً عاماً فيه جميع الناس ، وجماعة التتار الواصلين ، ورسل السلطان المتوجهون إلى الملك بركة ، وحضر الإمام أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ... أمين الخليفة المسترشد بالله . وبايعه السلطان بعد ثبوت نسبه عند قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ . وبايعه الأمراء والعامة والتتار الواصلون ، والرسل إلى الملك بركة ، ولما تمت هذه البيعة المباركة حصل الحديث معه في إنفاذ الرسل إلى الملك بركة فوافق على ذلك ثم قرئ الكتاب ثانياً بحضوره وانفصل المجلس »

« ثم أمر السلطان بعمل نسبته الطاهرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكتبت وأذهبت وسيّرها إلى الملك بركة »

« فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم يعني يوم البيعة ، اجتمع الناس وحضر الرسل المتوجهون إلى الملك بركة . فبرز الخليفة وعليه سواده ، وصعد المنبر وخطب وصلى الجمعة بالناس ودعا للملك الظاهر وللمسلمين »

« ثم اجتمع الرسل بالخليفة والسلطان وحملهم السلطان من المشافهة ما فيه صلاح الإسلام ؛ وعرف أصحابه التتار أحوال عساكره وكثرتها وما هو بصدده من جهاد وما يبذله من الأموال في نصرة الدين ، وقتال الأعداء المشركين ، وأنه محبٌّ للملك بركة وداع له بالنصر على الأعداء ، فوافق له على ما فيه صلاح العالم »

هذه صفحة من التاريخ الإسلامي لم تعط كفاءها من القراءة والتأمل ، وفصل من سياسة مصر في جهاد أعداء الإسلام لم ينل نصيبه من الإيضاح والشرح . ها هو ذا الملك الظاهر بيبرس وأمراؤه وعلماء مصر وكبراؤها يحيون الخلافة العباسية ليجمعوا عليها قلوب المسلمين ، ويثبتوهم في تلك الفتن المبيرة ، والكوارث المروعة . وها هم أولاء يرسلون الكتب والهدايا والرسل إلى بركة خان ابن عم هلاكو ، لينحاز إليهم ويحارب بني عمومته ويفل حدهم ، ويكف بأسهم عن البلاد الإسلامية . وليس احتفاء السلطان بمبايعة الخليفة العباسي

بنصوص القرآن ، ومطلوب بالعقل والبداهة ، ولا مناقضة فيه لأدب النبوة ولا لأدب الحاكين

ولست أرى من واجب المؤرخ أن يبطل الروايات المنقولة لأنه يظن ظناً ضعيفاً لا سند له أن عائشة لن تقول هذا القول ولن ينطلق به لسانها مع فلتات الغيرة وجمحات المغاضبة ، وإلا انتقلنا من البحث في عصمة الأنبياء إلى البحث في عصمة أزواجهم وأقربائهم حتى من فلتات اللسان ، حيث تبدر الفلتات من كل إنسان ، وإننا لننزه العقل الآدمي أن نغله بأمثال هذه القيود

عباس محمود العقاد

وإثبات نسبته إلى الرسول وإرسالها إلى الملك بركه ، وصلاة الخليفة بالناس ، وحضوره مفاوضة السلطان والرسل — ليس هذا كله إلا إعلاء لشأن الخلافة وإيذاناً لبركة بأن الخلافة التي أزالها ابن عمه وخصمه وعدو المسلمين هلاكو ، قد حييت في مصر وكتبت إليه تستنجده وتستنصره بالإسلام دينه الذي ارتضاه وأتم الله به عليه

وهذه مأثرة لسلاطين مصر في القرن السابع بعد بلائهم المشكور في دفع الصليبيين مائتي عام ، وقبل جهادهم لرد تيمور عن الشام ومصر في مفتتح القرن التاسع . وإنها لمفاخر خالدة ومساع محمودة جديرة بعناية مؤرخي الإسلام

سار رسل الملك الظاهر حتى بلغوا القسطنطينية فلقوا بها رسل الملك بركه المتوجهين إلى مصر ؛ فرجع معهم أحد الرسل المصريين ، وهو الفقيه مجد الدين ألجأه المرض إلى العودة . وكتب ملك الروم إلى الملك الظاهر أن رسله قدموا سالمين وتوجهوا إلى الملك بركة في صحبة رسل من عنده . ومؤرخو المسلمين يسمون ملك القسطنطينية في ذلك العصر الأشكرى وهو تعريب اسم الأسرة التي سيطرت على مملكة الروم الشرقية في تلك العصور

ثم يصف القاضي ابن عبد الظاهر مسير الرسل المصريين إلى القرم . ثم رحيلهم عنها إلى أن بلغوا شواطىء نهر إيل (الفلجا) في واحد وعشرين يوما . يقول :

وهو نهر حلو سعته سعة نيل مصر ، وفيه مراكب الروس وهو منزلة الملك بركه . وحملت إليهم (إلى الرسل) الإقامات والأغنام طول هذه الطرقات »

ولما اقتربوا من المخيم « الأردو » قابلهم الوزير شرف الدين القزويني ، وهو يحدث بالعربية والتركية وأنزلهم في ضيافة الملك ودعاهم الملك بركه من الغد فساروا إلى مضربه في صحبة الوزير شرف الدين . وعرفوا آداب الدخول على الملك

يدخلون إلى الجهة اليسرى ؛ فإذا أخذت منهم الرسائل ينتقلون إلى اليمنى ، ويقعدون على الركبتين . ولا يدخل أحد بسيف أو سكين ، ولا يطأ عتبة الخيمة ... الخ .

كان الملك في خيمة عظيمة تسع خمسمائة فارس مكسوة باللباد الأبيض ومبطنة بثياب نفيسة ومزينة بالجواهر ، وهو جالس على سرير ، واضع رجليه على كرسي فوقه وسادة ، لأنه كان مصاباً بالنقرس ، وإلى جانبه الخاتون الكبرى ، أي كبرى زوجاته « طقطغاى خاتون » — وكان له امرأتان أخريان ججك (زهرة) خاتون دكد (جوهرة) خاتون ، وعنده زهاء خمسين أميرا على كراسي . وكان بركة كما روى ابن عبد الظاهر : « كبير الوجه خفيف اللحية في لونه صفرة ، يلف شعره عند أذنيه ، في أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثمنة . وعليه قباء خطائي[1] وعلى رأسه سراغوج[2] وفي وسطه حياصة ذهب مجوهرة معلق بها سولق بلغارى أخضر ، وفي رجليه خف كيمنخت أحمر وليس في وسطه سيف ، وفي حياصته قرون سود مقمعة بذهب »

دخل الرسل وأدوا رسالة الملك الظاهر فسر بها بركة سروراً عظيما ، وأمر الوزير فقرأ الكتاب ، وأمر بأن يجلس الرسل عن يمينه خلف الأمراء الذين بين يديه ، وقدم لهم القمز ثم العسل المطبوخ ، ثم اللحم والسمك ، ثم أمر بإنزالهم عند زوجه ججك خاتون وانصرفوا آخر النهار من الغد إلى منازلهم

وكان الملك بركة يدعو الرسل كل يوم يحدثهم ويسألهم عن أخبار مصر وعجائبها : سأل عن النيل والمطر وعن الفيل والزرافة ، وقال سمعت أن عظماً لابن آدم ممتد على النيل يعبر عليه الناس . فقالوا هذا ما رأيناه ولا هو عندنا . ويقول ابن عبد الظاهر :

« وكان عند الملك بركة رجل فقير من أهل الفيوم اسمه الشيخ أحمد المصري له عنده خدمة كبيرة . ولكل أمير من أمرائه مؤذن وإمام ، ولكل خاتون أيضاً مؤذن وإمام . والصغار الذين عندهم لهم مكاتب يتلقنون فيها القرآن العزيز »

ما أعجب الأخوة الإسلامية التي وصلت بين بركة وقومه ووصلته بالمسلمين في بقاع الأرض كلها ، وصيرته حليفاً للمصريين على ابن عمه هلاكو ، ثم أحاطته بعلماء المسلمين وكبرائهم من غير قومه . فهذا وزيره شرف الدين قزويني يعرف العربية ، وهؤلاء علماء من أقطار شتى ينحازون إليه ، وهذا رجل مصري من الفيوم يعيش في كنفه ويحظى لديه .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

---

(١) من بلاد الخطا

(٢) سراغوج وهو ما يسمى قلبق

طاقات ريحان

هدية إلى شعراء في هذا الزمان

لأستاذ جليل

يقرض قارضون في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب — هذا الذي يطلع في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والدواوين العامة[1]؛ فإذا تعقب قارضي ذاك القريض متعقبون، وسوَّءوا عليهم ما يُهرئون[2]، وأرذلوا تلك المخزيات[3] المهلهلات — حرد أولئك المقصِّدون والقوالون والفصالون[4] وترقوا، ولبثوا ليالي ونُهُرا[5] متأوهين متأففين يلعنون النقد والناقدين. والنـاس في كل زمان لا يحبون إلا المدح والتمجيد، وبخ بخ، ووزه، ومرحى ...

يهوى الثناء مقصر ومبرز   حب الثناء طبيعة الإنسان[6]

وقد أردت أن أتقرب إلى أصحـاب الشعر البهرج[7] المزروف[8] برواية أحاديث وأقوال في شعراء من قبلهم قالوا الشعر واللغة لغة والعربية عربية والناس ناس « والأدب غض والزمان زمان[9] » ليتعزى الأصحاب بما يقرءون ويسمعون، وليتأسوا بإخوان لهم سابقين « إن الأسى تدفع الأسى »

ولولا الأسى ما عشت في الناس ساعة   ولـكن إذا ما شئت جاوبني مثلي[10]

عمرت للسرور دهراً فصارت   للتعزى رباعهم والتأسي[11]

(١) بتخفيف الميم وتشديدها

(٢) أهرأ: أتى بالهراء

(٣) المخزيات . المخزيات . وفي اللسان: قصيدة مخزية نهاية في الحسن يقال لها ثلها: أخزاه الله!

(٤) (الفصالون) هم الذين يمدحون ليأخذوا الجوائز

(٥) نهر: جمع نهار

(٦) ابن نباتة السعدي

(٧) في الأساس: كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة .

(٨) المزروف بين الشعر والـكلام

(٩) ابن قتيبة في مصنفه أدب الـكتاب

(١٠) الحارث بن زيد الخيل   (١١) البحتري

وبآبائك الـكرام التأسي   والتسلي عمن مضى والتمازي[1]

وليستيقن القوم أن الله لم يدخر السخف لهذا الزمان، ولم يُنَتِّج عصراً من العصور من خلط وهذيان. والدواهي أقاسيم، جزأها وقسمها بين الناس صانع حكيم

* * *

* قال عبد الرحمن بن حمزة المكي: كان أبو العتاهية إذا حج يجلس عندي بمكة، فجاءه شاعر كان عندنا، فجعل ينشده وأبو العتاهية لا يصغي إليه لأنه لم يستجد شعره، فقال له الشاعر: مالك لا تصبر حتى تسمع؟ فقال:

سأصبر جهدي لما أسمع   فإن عيل صبري فما أصنع؟

* سمع عروة بن الزبير من ابن له شعراً، وكان ابنه هذا يقول الشعر، فقال له: يابني، أنشدني، فأنشده حتى بلغ ما يريد من ذلك، فقال له: يا بني، إنه كان شيء في الجاهلية يقال له: المزروف بين الشعر والـكلام، وهو شعرك

* قال أبو العيناء: دخلنا على العتبي نعوده وقد مرض، فقال: ما أجزع من الموت كجزعي من « أبي مسلم الخلق » لأني أخاف أن يرثيني كما رثى الأصمعي

* قال الهيثم السمري: حدثني شاعر من موالي بني تميم كان يألف أبا نؤاس، وكان أديباً ظريفاً قال: دخلت على أبي نؤاس في علته التي مات فيها، فسر بدخولي عليه، ونشط؛ فقلت له أعرض عليك شعراً لي؟ فقال: أعلى هـذه الحال؟ فقلت له: أنت بخير حال. وأنشدته إياه فجعل يبكي، فقلت له: لم تبكي؟ لك بسائر اليهود والنصارى والملوك أسوة ... فقال لي: كم تظن من شاعر قد مدح بأحسن من شعرك هذا فكان ثوابه أن صفع حتى عمي، وأنا أسأل الله أن يرزقك ما رزقهم فقال له ما لك لا شفاك الله!

* أنشد رجل الفرزدق شعراً له وقال له كيف تراه فقال: لقد طاف إبليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك

* قال السجستاني: أنشد رجل ابن مناذر قصيدة، فجعل يقول: غفر الله لك، غفر الله لك! فلما فرغ قال: ردها على شيطانك لا يعتن بها عليك

(١) التني .

* قال الطبرى فى تاريخه : قال محمد بن سلام كان المهدى يقعد للشعراء فدخل عليه شاعر طويل اللحية ، فأنشده مديحاً له فقال فيه : « وجؤار زفرات » فقال المهدى : أى شىء زفرات ؟ فقال له : ولا تعلمه أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين لا تعرفه ، أعرفه أنا ؟ كلا والله . فقال المهدى : ينبغى أن تكون هذه الكلمة من لغة لحيتك .

* أنشد رجل أعرابياً شعراً وقال له : هل ترانى مطبوعاً ؟ قال : نعم على قلبك

* قال الصولى فى كتاب الأوراق والمرزبانى فى الموشح : سمع أحمد بن يوسف الكاتب لأخيه شعراً قد كتب به إلى هوى[1] له فكتب إليه أحمد : وفقك الله « يا أخى » للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً أنفذته إلى من تخطب مودته ، وتستدعى عشرته ، فسرنى شغفك بالأدب ، وساءنى اضطرابك فى الشعر ، وليس مثلك من أخرج من يده شيئاً يعود بعيب عليه ، وأعيذك بالله أن تلج لجة الشعر بلا عوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فتنسب إلى قبيح أمر هويت النسبة إلى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على عمله بأهله ، ثم قل منه ما أحببت ، إذا عرفت ما أوردت وأصدرت

* قال ابن الجوزى : أنشد رجل أبا عثمان المازنى شعراً له فقال : كيف تراه ؟

قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك لأنك لو تركته لأورثك السل

* قال إسحق الموصلى : أنشدت أبا عبيدة أبياتاً لبعض القدماء فقال : أترى فيها مثلاً أو معنى حسناً ؟ فقلت : لا .

فقال : من جملك حامل أسفار ؟

* قال إسحق : قال لى الفضل بن الربيع : يا أبا محمد ، إن من الشعر لأبياتاً مُلس المتون قليلة العيون ، إن سمعتها لا تفكه لها ، وإن فقدتها لم تبالها

* قال ابن الجوزى : جاء شاعران إلى بعض النحاة فقالا : اسمع شعرنا واخبرنا بأجودنا ، فسمع شعر أحدهما ، وقال ذاك أجود . قال له فما سمعت شعره

قال : ما يكون أنحس من هذا قط

* قال الجاحظ : أنشد عبد الرحمن بن عبد الأعلى أبا زيد الأنصارى شعراً له فقال له أبو زيد : يا أخى ، هذا شعر لا عليك ألا تستكثر منه

* قال أبو العيناء : عرض رجل على الأصمعى شعراً رديئاً ، فبكى الأصمعى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : يبكينى أن ليس لغريب قدر ، لو كنت ببلدى بالبصرة ما جسر هذا أن يعرض علىّ هذا الشعر وأسكت عنه

* قال على المنجم : أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط وتبطل إلى أن ترزق حمق فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها عدة أعمارهم ، ثم ينتهى بها الأمر إلى الذهاب ؛ وذلك أن الرواة ينبذونها وينفونها فتبطل

* قال الصفدى : قال الرضى الحلاوة يوماً لضياء الدين موسى الكاتب : أنا أشعر شعراً حسناً وما يعوزنى إلا حَلْق

فقال له موسى : لحية ...

* قال ابن رشيق صاحب العمدة :

الشعر مزلة العقول ؛ وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً

* أبو إسحق الصابى :

لقد شان هذا الشعر قوم ؛ كلامهم ... إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فيارب ، إن لم تهدهم لصوابه ... فأضللهم عن وزن ما لم يجوّدوا

* دعبل :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره ... ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله ... وجيده يبقى وإن مات قائله

(***)

(١) نحو — كفى — وهوى — كفى حية للهوى

مسابقة الأدب العربي

أخبار أبي تمام

للدكتور زكي مبارك

فرحة الأديب بالأدب

أتممت قراءة « أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي » وأثنيت من جديد على اللجنة المؤلفة من رجال الجامعة ورجال المعارف لتنظيم هذه المسابقات بمثل هذا النظر الدقيق

قضيت في قراءة هذا الكتاب سبع سهرات هي بداية كريمة لسهرات العام الجديد ، ومن هذا الكتاب عرفت أن الأستاذين العظيمين خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام قد استطاعا تكوين قسم خاص بمكتبة الجامعة المصرية يشتمل على جميع ما أمكن الوصول إليه من المؤلفات التي عُني مؤلفوها بأبي تمام العظيم

وليس من الجديد أن أعرف الأستاذ محمد عبده عزام ، فقد عرفته قبل سنين طوال ، وأنا لا أستكثر عليه أي فضل ، فهو أهل لكل فضل ، وإنما الجديد هو التفاتي إلى الأستاذ خليل محمود عساكر ، وأنا لا أذكر أني التفت إليه قبل قراءة هذا الكتاب ، فليتقبل مني أصدق الثناء

وعلى غلاف الكتاب اسم الأستاذ « نظير الإسلام الهندي » بدون أي مجهود ظاهر يستحق وضع اسمه على الكتاب ، ولكني بعد التأمل رأيته صحح لفظة كانت تحتاج إلى مهارة في التصحيح ، وأنا أرى أن تصحيح لفظة واحدة عمل من أجل الأعمال ؛ فقد انقضى زمن الأحجام والأوزان والمكاييل !

مع هذا الصولي

معرفتي بأبي بكر الصولي قديمة العهد ، فقد كان صاحب الفضل في أن أعرف مؤلف « الرسالة العذراء » يوم ثار الخلاف بيني وبين أستاذي مَرْسيه تحت أروقة الكوليج دي فرانس

وكان مثار الخلاف أن نسبة الرسالة العذراء إلى ابن المدبّر ليست موضع يقين

إشارة واحدة في كتاب « أدب الكتّاب للصولي » دلّتني على أن ابن المدبّر هو مؤلف الرسالة العذراء

ولكني لم أعرف الصولي معرفة حب وإعجاب إلا بعد قراءة كتاب « أخبار أبي تمام » فقد وجدته يؤمن بالأدب إيماناً هو الغاية في العمق ، والذي يقرأ دفاعه عن أبي تمام يكاد يتوهم أنه يتحدث عن نبي من الأنبياء ، لا شاعر من الشعراء ، ويزيد في قيمته أنه يردّ معاني أبي تمام إلى مصادرها القديمة حين يجد ما يوجب ذلك ، وهذا الصنيع يشهد بحب هذا الرجل للصدق ، ورغبته في أن تسلم أقواله من الأهواء

وقد تألمت حين تذكرت أن من الصعب أن نصل إلى بقية مؤلفات الصولي ، ولا سيما المؤلفات الخاصة بتحقيق طائفة من دواوين الشعراء ، كالذي صنع في تحقيق ديوان أبي نواس ، بحيث صارت نسخته هي النسخة المعتمدة ، وبحيث صارت النسخ القديمة تباع بدراهم بعد أن كانت تباع بعدد أوراقها دنانير

فأين تلك النسخة الفريدة ؟

هل يسمح الزمان بأن نجدها في أي مكان ؟

إن ديوان أبي نواس أهمل ، ولا أذكر أن في علماء هذا العصر من اهتم بشرحه ، مع استثناء جهد أستاذنا الشيخ سيد المرصفي في شرح الرائية التي منها هذا البيت :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرَّ من ثمره

وأهمية نسخة الصولي أنها من تصنيف رجل قريب من زمن أبي نواس ، ومن حديث الصولي نعرف أن المفاضلات بين بشار وأبي نواس كانت تشغل الأندية الأدبية في تلك الأيام ، ومعنى هذا أن أشعار أبي نواس كانت لا تزال بمنجاة من التزيد والافتراء

يرحم الله الصولي !

تراجم مفقودة

قال الناشران الفاضلان إنهما لم يعثرا على ترجمة صاحب ن فاتك الذي ألف له الصولي كتاب « أخبار أبي تمام » ، وأقول إن ترجمته موجودة بشهادة هذا الكتاب ، أعني أنه كان

شخصية كبيرة عاشت فى صدر القرن الرابع واستحقت التفات الصولى الذى كانت له منزلة تسمح بمنادمة الخلفاء

ولكن هنالك تراجم مفقودة أحب أن يبحث عنها هذان الناشران الفاضلان ، وهى تراجم الرجال الذين عادُوا الصولى عداء ذهب برشده كل مذهب وأجرى قلمه بما لا يصدر إلا عن رجل مغتاظ مهتاج

ومن المؤكد أن أولئك الرجال لم يكونوا نكرات ، فكلامه صريح فى أنهم كانوا يبارونه فى التأليف ، ويحاولون أن يخرجوه من الميدان

لقد حدثنا أنه انتصر عليهم ، ولكن من هؤلاء الذين غاظوه وحاربوه ؟

إنه كتب كثيراً من الصفحات فى ذمهم وثلبهم ليبرد ما يتأجج فى صدره من نيران الحقد

فمن هؤلاء ؟

لا بد من النظر مرة ثانية فى التاريخ الأدبى لذلك العهد ، فمن المحتمل أن نعرف فريقاً من هؤلاء ، ومن المحتمل إن عرفناهم أن يزيد فهمنا للمشكلات الأدبية عند ذلك الجيل ، وهو من أهم الأجيال

مقدمات وشروح

نجد مع هذا الكتاب مقدمتين : الأولى بقلم الأستاذ أحمد بك أمين ، والثانية من صنع الأستاذ خليل محمود عساكر والأستاذ محمد عبده عزام

والمقدمة الأولى جيدة ، وإن كنت أنكر أن يقول فيها الأستاذ أحمد أمين إن أبا تمام أخرج الشعر من رأسه لا من قلبه ، فهذا القول غير صحيح ، لأن أبا تمام رجل قوى القلب إلى أبعد الحدود ، وشعوره بالحياة يدل على أنه كان غاية فى قوة الوجدان

وسنفصّل هذا المعنى فى المقال المقبل

أما المقدمة الثانية فهى صورة من صور البحث المادى الرزين والشروح سخية جدًّا ، ففيها معارف أدبية ولغوية وتاريخية تنفع القارئ أجزل النفع ، وتشهد لمؤلفيها بالصبر على عناء الاستقصاء

٢٢٠٩

وفى ذيل الكتاب فهارس وافية ، وقد روعيت فيها الأصول الصحيحة ، على خير ما نرجو لإحياء مؤلفات القدماء

هبة الأيام

وأنتهز هذه الفرصة فأدعو المتسابقين إلى النظر فى كتاب « هِبَة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » للبديعى ، ففى هذا الكتاب أشياء تكمل كتاب الصولى ، وقد نشره الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، وقد فقدته لغة العرب منذ سنة أو سنتين ، فما أذكر متى مات ، إن كنت أذكر أنه اختُضِر ليفارق على غير ميعاد

لو كان الأستاذ محمود مصطفى نشأ فى عهد مثل عهد الصولى لوجد من يترحم عليه ويحيى ما ترك من غرر المخطوطات ، ولكنه نشأ فى عهد محوط بتقلبات لا تطاق ، فلم يبكه غير كفنه ومضى وحيداً إلى دار البقاء

لم يُرثِ الأستاذ محمود مصطفى إلا بكلمة أو كلمتين فى مجلة « الرسالة » ، وهذا فضلٌ عظيم ، فقد سكت عن نعيه جميع من انتفعوا بأدبه من أصحاب الجرائد والمجلات

أسئلة الامتحان

وأرجع إلى الموضوع الأصيل فأقول : إنى كنت أضمن فى كل مرة قدرة الظفر بالخزانة التى تودع فيها أسئلة الامتحان فليعرفوا أن هذا المقال محاولة لكسر أقفال تلك الخزانة ، وليثقوا بأنى سأنقل إليهم أسرارها فى المقال المقبل

ما هو الشمع الأحمر الذى تختم به وزارة المعارف صناديق أسئلة الامتحان ؟

نحن نوجه تلاميذنا توجيهاً يضمن لهم معرفة تلك الأسئلة بأيسر عناء ، وإن كان من العسير عليهم أن يصلوا إلى خزانة محروسة بجنود صناديد

فى مقدور كل تلميذ أن ينهب وزارة المعارف وأن يظفر بألقابها حين يشاء ، على شرط أن « يعرف » كيف ينهب وزارة المعارف ، وهى وزارة تشتهى أن ينهبها أبناؤها الأوفياء

فإلى المقال المقبل ، يا عشاق الجد من قرائى .

زكى مبارك

٥ ـ علي محمود طه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

لقد افتتحت فصولى هذه عن على محمود طه بأنه أصبح أغنية فى فم الجيل الجديد، وأن شعره أصبح أنشودة من أناشيد مصر الحديثة. ولقد كنت أعنى ما أقول حينما افتتحت فصولى هذه بهذا الكلام. كنت أعنى أن أقول إن الشاعر على محمود طه هو شاعر بحترى يقول شعراً فيقع فى فؤاد مصر الحديثة شدواً ويقع فيه غناء... إن الديباجة البحترية فى الشعر العربى هى أصلح الديباجات للغناء. إن كل كلمة من كلماتها موزونة ومقدرة ومجوّدة.. ألم يقولوا إن البحترىّ أراد أن يشعر فغنّى؟ لماذا قالوا هذا الذى قالوه؟ إنهم قالوه لما نقوله اليوم فى شاعرنا المصرى الرقيق. لقد زعم بروكلمان الألمانى فى كتابه «تاريخ التأليف العربى» أن على محمود طه يدين للرومانتيك الفرنسى فى القرن التاسع عشر — وهو الاتجاه الخيالى الفنى والقوى والعقلى — وأنه انتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن قوى فى ديوانه. ونحن لا يعز علينا أن يتأثر شعراؤنا بالمذاهب الأدبية التى تغمر الشرق أو الغرب، ففى هذا التأثر دليل من الحيوية والاتصال بركب الحياة والاستجابة للعالم الخارجى، ولكن الذى يعز علينا هو هذا التجريد من الأصالة الذى يرمينا به مؤرخو الآداب الأجانب مهما مدحونا بعد ذلك وأثنوا على شاعرية شعرائنا وأدب أدبائنا. إن على محمود وغير على محمود طه من الشعراء المصريين إن كانوا قد تأثروا بالمذاهب الأدبية الخارجية إلا أنهم لا يدينون لهذه المذاهب بتلك الأصالة التى هى جزء من الطبع المصرى الشاعر، والتى تجرى بكل مقوماتها فى الجبلة المصرية مذ عرفت مصر الفنون والعلوم والآداب، وقد عرفتها قبل غيرها من الأمم... إن النزعة الرومانتيكية التى ينزع إليها أكثر شعرائنا، بل شعراء العالم العربى الأماثل ليست بضاعة واردة، بل هى طبيعة هؤلاء الشعراء التى طبعهم الله عليها، كما طبع عليها شعوب البحر المتوسط فى الشرق والغرب والشمال والجنوب، هذه الشعوب التى رزقها الله تلك الأمزجة الرومانتيكية المرهفة المولعة بالغناء والموسيقا والشعر والنحت والتصوير والبلاغة البيانية وسائر الفنون التى تفتقر إلى هذا المزاج الرومانتيكى. ولقد حوّلت بعض الأسباب الدينية شعوب العالم العربى، ومعظمها من شعوب البحر المتوسط، عن النحت والتصوير قروناً طوالاً؛ فانصرفت طاقة هذه الشعوب الوجدانية كلها إلى الفنون الأخرى وفى مقدمتها الشعر فأتت فيه بالمعجز والمطرب كما يقولون، وخرجت القصائد من قرائح الشعراء المصريين والشاميين والعراقيين والمغربيين راقصة معجبة فى العصر الحديث، كما كانت تخرج من قبل فى الشرق العربى وفى المغرب الأندلسى والمغرب الأقصى راقصة معجبة، والمزاج الرومانتيكى بجميع مقوماته مزاج أصيل فى جبلة شعوب البحر المتوسط، تلك الشعوب التى اخترعت أديانها قديماً من الخيال الخالص، والتى وضعت أصول فنونها على أسس وجدانية تشبه الشعر إن لم تكن الشعر المجسم نفسه. ومن الناحية القومية، فالوطنيات التى نشأت على شواطئ هذا البحر هى من أقدم الوطنيات فى التاريخ إن لم تكن أقدمها جميعاً. ولقد كانت الوطنية تمتزج بالدين فى مصر القديمة وعند اليونان والرومان، وأسطورة البقرة هاتور والإله حابى إله النيل هى أسطورة مشهورة مأثورة. وإذا كان لعلى محمود طه شعر قوى فلجميع الشعراء المصريين أشعار قومية، بل نستطيع أن نقرر أن أكثر من نصف الشعر العربى الحديث قد قيل فى مناسبات قومية. وواجبنا عند ما نقرر هذا ذكر شاعر قوميتنا الأول المغفور له حافظ إبراهيم الذى كان ولا يزال له قرناء فى الوطنية فى جميع الأقطار العربية

وعندى أن الغناء هو الظاهرة العامة فى شعر على محمود طه، الغناء الجميل الذى توزن له الألفاظ وتستجاد البحور وتسترق القوافى. ولو لم يغن الأستاذ عبد الوهاب أغنية الجندول لغنتها

غيره من مطربي العصر الحاضر أو من مطربي العصور المقبلة ، وليست الجندول وحدها هي الجديرة بغناء عبد الوهاب ، بل إن من نظمه ما يوشك أن يغني نفسه . فما بال مطربينا نائين عن هذا الكنز الثمين ؟ إن من الأمية أن يهمل مطربونا غناء قطع على محمود طه الخالدة : بحيرة كومو ؛ خمرة الرين ، أغنية ليالي النيل ، كأس الخيام ، وكلها في ليالي الملاح التائه ؛ وقبلة ، والنشيد ، وميلاد شاعر ، وهي في الملاح التائه ؛ وليالي كليوبطرة ، وسارية الفجر ، وأغنية الحب ، وخمرة الشاعر ، وزهراتي ، وراقصة الحانة ، والشاعر[1] ، وعاشقة ، والكرمة الأولى ، وحلم ليلة الهجرة ، ليلة عيد الميلاد ، وعام جديد ، وكلها في مجموعته « حمر وزهر »

فأي شاعر يملك هذه الثروة من المنظومات الغنائية الساحرة يجهله الفنون في وطنه كما يجهل الفنون في مصر على محمود طه برغم ما لفتهم إليه المطرب الفنان محمد عبد الوهاب ؟

ومع هذه المنظومات الكثيرة التي اخترناها هنا من مختلف دواوينه ، فإن قصائده الباقية تكاد تغني نفسها كما قدمنا . إنها قصائد غر تسمع لشدوها جرساً يخرج من صميم أبياتها فيترقرق في سمك كرنين الذهب . ولعل الذي يكسبها هذه الميزة هي تلك الشاعرية الصادقة التي تتجلى فيها جميعاً ، والتي يظنها القارئ تناقضاً في شخصية على محمود طه ، أو تناقضاً في آرائه ومعتقداته ، إذ كيف تعلل ما جاء في قصيدته « الله والشاعر » مثلا ، أو في ثنايا « أشباح وأرواح » من تمرد على الله وعلى البصيرة ، وضرب في صحراء العقل الشاك ، وهذا الإيمان العجيب الذي يبهرك نوره في قصائده « حلم ليلة الهجرة ، وليلة عيد ميلاد ، وعام جديد »

إنك تقرأ من منظومته الرائعة « الله والشاعر » هذه الأبيات يخاطب بها الله :

أمنذري أنت بيوم الحساب ؟ ولائمي أنت على ما جرى ؟
رحماك ! ما رضيك هذا العذاب لطيّع لم يعص ما قدّرا !
ما كنت إلا مثلما رُكّبت غرائزي ، ماشئت لا ما أشاء
فلتجزها اليوم بما قدّمت وإن تكن مما جنته براء

(١) قالها في صديقه الشاعر إبراهيم ناجي

تشككت نفسي بما تنتهي إليه دنياها وماذا تكون
مضت فما آبت بما تشتهي من حيرة الفكر وهجس الظنون !

فتشعر أن أبا العلاء والخيام يختبئان في هذه النفس الحائرة ، لكنه سرعان ما يرد إليك الطمأنينة إذ يخبرك أنه شاعر ، وأن صناعته هي رد الطمأنينة إلى القلوب الشاكية ، ومسح الدموع عن العيون الباكية !

ها أنذا أرفع آلامه إلى سماء المنقذ الأعظم
أنا الذي ترسل أنغامه قيثارة القلب وناي الفم !!

من عبراتي صغت هذا المقال ومن لهيب الروح هذا القلم
ملأت منه صفحات الليال فضُمّنت كل معاني الألم

أنا الذي قدّست أحزانه الشاعر الباكي شقاء البشر
فجرّت بالرحمة ألحانه فاملأ بها يا رب قلب القدر

ولو تفضل القارئ فرجع إلى بقية المنظومة في « الملاح التائه » لاطمأن على هذا الفؤاد الحيران ، ولعرف أن حبّته قبس من الإيمان ، فإن لم يجد مصداق ذلك فليقرأ حلم ليلة الهجرة ، وعام جديد ، وعيد ميلاد ، ليشهد كيف تصدق شاعرية على محمود طه في كل ما تتغنى به من فصول تلك الحياة . إن ميزة شاعريته الصدق في كل ما تقول ، فهي كالروح الذي يتدفق في الجسم الحي ، وهي لا تتدفق حكمة كما كانت تتدفق شاعرية المتنبي ، ولا فلسفة وتشاؤماً كشاعرية أبي العلاء والخيام ، ولا وصفاً للطبيعة واندماجاً فيها كشاعرية ذي الرمة مثلاً ، لكنها تتدفق غناء كشاعرية البحتري . ولقد عددنا بعض منظومات على محمود طه الغنائية الرائعة ، ونرجو ألا يحكم أحد علينا بالمغالاة قبل أن يرجع إلى دواوين الشاعر ليراجع هذه المنظومات البديعة ، وليجيل فكره في هذا الذي نقوله ، ليرى بعد ذلك أننا غير غالين ولا مبالغين في شاعرية على محمود طه التي تترقرق سحراً كما تترقرق غناء ... حتى في منظومات الألم والأسى ... أجل ... إنها تترقرق سحراً وغناء حتى منظومات الألم والأسى .. ومن ذا الذي يقرأ منظومته « الموسيقية العمياء » في ليالي الملاح التائه ، ولا يسمع إلى ألحان الأنين المكبوتة

ستاندال والحب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ليس كوروا من يتحدث عن الكتاب والشعراء . وليس كمثله فى سلاسة أسلوبه وتدفق ألفاظه وحلاوة معانيه . إنه كالساقية اللاهية تسقى وتروى ثم تمضى ، وقد خلفت وراءها الخصب والحياة . أو كالزهر الفواح يروقك مرآه ، ويسكرك شذاه ، سذاجة وصفاء ، ولكنها سذاجة ملؤها التروع والجمال

لقد تحدث عن « شلى » أبرع الحديث ، وقص مغامرات « بيرون » أحسن القصص ، وعرض حياة « دزرائيلى » أجمل معرض ، وسرد أعمال « ليوتى » كأعظم ما كتب كاتب ، وصور « شاتبريان » بما لم يصوره قبله إنسان . وها هو ذا الآن يتحدث عن « خمس صور من الحب » ويتكلم على ستاندال .

وستاندال إذا تحدث عن الحب فأعجب به من متحدث ، وأكرم به من خبير ! لقد بلا الحب وطعم ذواقه ، ثم وصفه وعرقه وتساءل كيف ينبغى أن يكون الرجل مع النساء ؟ أيكون مهين كما كان « دون جوان » . أم مثل « فرتر » الهيمان ؟ أيكون صياداً محارباً أم عاشقاً مدنفاً ؟ لقد كان ستاندال يعجب بدون جوان ، لأنه رمز الشجاعة والإقدام ؛ وفى الوقت نفسه رمز المدهوء والهزؤ بالناس

والحق أن الناس جميعاً ، كما يقول موروا ، يعجبون بمن كان كدون جوان ؛ ولكنهم يرضون به ويثلبونه ، فى حين أن العشاق المتيمين أشباه فرتر المسكين ، يشفهم السقم ويضنيهم العذاب ، ويشعرون أنهم سعداء . سعادتهم فى الخيال ، يبنون القصور الشامخات وتزركشونها بأحلى التهاويل . فهى أبداً رفافة بالنعيم ، يعيشون ويحلمون ، لأن الحب على نهج فرتر يعد لقبول كل فن رفيع وإحساس كل شعور لطيف

إن دون جوان يرى النساء عدوات لدودات . والحب فى عينيه حرب ونضال . هو لا يتحدث عن شيء سوى المغامرات والانتصارات ؛ أما أتباع فرتر فأولئك هم الهائمون وبأحلامهم هانئون وبحسراتهم وزفراتهم راضون

ودون جوان إلى ذلك يختصر الحب . إنه أمر هين ينتهى دائماً بالفوز . ولذلك يفكر كالقائد العظيم فى الحيل التى يبلغ بها مشتهاه . يعمل دائماً على نجاح أعماله ونفاذ حيله

الحب أمر هين ، وكله ينطوى فى « التبلور » وصاحب نظرية « التبلور » هو ستاندال الذى وقف حياته على الحب . وكان الحب ، كما قال ، أعظم الأعمال طراً لديه ، بل كان شغله الشاغل الوحيد

لقد خص به كتاباً من الكتب العظام ... وروايات من الروايات العجاب . ولئن بحثت عن « مذكراته «Son Journal» فلن تجد فيها غير الحب

ترى كيف يولد الحب ، وكيف ينمو !

أجاب ستاندال ، فى الباب الذى عقده عن « التبلور Cristallisation » فى كتابه : De Phworn عن هذا السؤال وهاك ما يحدث فى النفس

١ — الإعجاب ، يلمح المرء الفتاة فيعجب بها

٢ — ثم يحدث نفسه ، ما أحلاها لذة أن تقبلنى أو أقبلها إنها لطيفة ، جميلة

٣ — ثم يأمل أن يراها وأن تراه . ويرقب ذلك ...

يخفق بها قلبه كما تضج بها روحه ؟ إسمع أيها القارئ :

إذا ما طاف بالأرض شعاع الكوكب النقى
إذا ما أنت الريح وجاش البرق بالومض
إذا ما فتح الفجر عيون النرجس النض
بكيت لزهرة تبكى بدمع غير مرفض

إقرأها يا صديقى القارئ الشاعر فى ليالى الملاح التائه ، واقرأ الأغنيات التى أومأت إليها لتصدق أن الغناء هو الظاهرة العامة فى شعر على محمود طه ، ولتصدق أن على محمود طه أصبح أغنية فى فم الجيل الجديد ، وأن شعره أصبح أنشودة من أناشيد مصر الحديثة ...

(يتبع) دريني خشبة

٤ — وعندئذ يولد الحب

٥ — ويبدأ « التبلور » الأول ، فيشمر المحب بلذة ما بعدها لذة ، وهو يخلع على فتاته الجمال والكمال ، طوال يومه ، فى الطريق ، وفى المكتب ، وفى السرير ، وعند الطعام ... وما يزال يزينها ويزوّقها حتى تغدو آية الجمال فى الأرض ، ويحدُث بها كما يحدث بغصن شجرة أجرد ، إذا رموه فى أحد مناجم الملح فى « سالزبورغ » . إنه يبقى شهرين أو ثلاثة شهور فإذا أخرجوه ألفوه غصناً من بلّور ، يتلألأ ويرف ، وقد رُصّع ببلورات لماعة من الملح كأنها الدر تخطف الأبصار وتفتن القلوب . فإذا رآها إنسان غير مَن ألقاها ، لم يدر قط أن هذه الدرر كانت ذات يوم غصناً كالحاً أجرد ...

وما يسميه ستاندال « التبلور » هو تزيين الحبيب حبيبته وخلعُ المحاسن عليها ليل نهار . فإذا تم هذا التبلور كانت المحبوبة فى عينى من يحبها أجمل مخلوقة فى الدنيا . إنها الجمالُ نفسه ، ليست من البشر ، ولا كواحدة من النساء ، إنها ملك كريم

ثم لا يسمع بشىء لذيذ إلا تمنى أن يلذه معها ، ولا يخطر بباله سعادة إلا هفا قلبه ، من أجلها إليها

ومن الملاحظة أن هذا التبلور ضرورة لا بد منها . فالحب إذا لم تتجدّد محاسن محبوبته فى نفسه ، وإذا لم يتخيلها كل يوم ذات حسن لم تكن بلتيه أمس ، فإنه لا شك يملّ ، لأنه فى الحالِ النفسية تلك يعزف عن كل رتيب ثابت ، ويريد كل طريف جديد . وفى أعمال « التبلور » صور فيها كل الطرافة، وكل الجدة

على أن هذا الحب ما يلبث أن يقلق ويضطرب . فلِمَ يضطرب ؟

٦ — إنه يشك فى حبه ، وبلوغ أمله . فبعد أن تضحك له المُنى ، يحس القلق يرتع فى نفسه . يود أن تكون لذائذ الدنيا كلها طوع يديه ، لينعم بها، هو وفتاته . ولكن اللذائذ لا تواتيه، والسعادة لا تأتيه

٧ — وعندئذ يبدأ التبلور الثانى . إن فكرة حرمانه الحبيبة تدفعه إلى تمجيدها وتزيينها . ويقول لنفسه « إنها جميلة كل الجمال . ليس فى الدنيا أجمل منها . إنها لتنظر إلىّ نظرات باسمات . فهى إذن تحبنى » ولكنه يتساءل : هل من سبيل كى أنال آية حبها ؟ أتحبنى أم تخدعنى ؟

فإذا كان الوصل بعد ذلك ، فالتبلور يقف ، وربما ذاب . وإذا كان الهجر ، فهو يعود ويزداد

ويذهب ستاندال إلى أن التبلور يحدث سريعاً عند المرأة . لأنها على زعمه ، أرهف حساً ، وأرق قلباً . ثم إن لديها الوقت الوسيع لذلك . فهى تطرز وتفكر فيمن تحب . وهى تخيط وتتمثل من تهوى . عمل يدوى دائم ، يرافقه حلم جميل باسم . وبهذا الحلم وذلك العمل تخلع الفتاة على مَنْ تحب أروع الصفات التى تود أن تكون فى الرجل

ويعتقد ستاندال ، خلافاً لبرنارد شو B. Shaw أن الرجل فى الحب يهاجم ، وأن المرأة تدافع . وأنه يطلب ، فى حين أنها ترفض . وأنه يكون نشيطاً متوقداً ، وتكون هى مذعورة مرعوبة ...

والمرأة تتساءل عند برنارد شو ، كيف أغرى محبى . والرجل يقول ، كيف أنجو من أسرها ، وكيف أصبح طليقاً . أما ستاندال فيعتقد أن الرجل يتساءل : « هل من سبيل كى أنال رضاها » وأن المرأة تفكر فى حبه وتقول : ألا يلهو بعد بحبه ؟ أثابت حبه أم متقلّب ؟ لأن النساء يخفن ولذلك لا يظهرن حبهن بسرعة . بل ينتظرن أن يبلون محبهن ويثقن من حبه ....

***

تلك نظرية التبلور عند ستاندال الفرنسى ، وبعض آرائه فى الحب . وكتابه فى هذا طريف لطيف ظريف . وفى أدبنا العربى نظرات كثيرة تشبه نظرات ستاندال وشو ، تجدها فى كتاب الزهرة « للأصبهانى » و « طوق الحمامة » لابن حزم ، لعلنا أن نعود إليها ، ونقايس بينها بعد حين

(دمشق) . صلاح الدين المنجد

منصب الوزير
في مصر الفرعونية

للدكتور باهور لبيب
المدرس بجامعة فؤاد الأول سابقا

جرت عادة ملوك مصر الأقدمين أن يلقوا عبء الإجراءات الحكومية من إدارية وقضائية ومالية وحربية على عاتق أكبر موظف في الدولة وهو الوزير ، وكان يسمى باللغة المصرية القديمة « ثات »

وكان من يشغل منصب الوزير له من الأهمية والسلطان قدر كبير ، وذلك لأن الوزير كان هو رجل الدولة الأول الذي يلي الملك مباشرة في الأهمية والنفوذ والسلطان . ولأن الوزير كان بمثابة حلقة الاتصال بين الملك وبين الإدارات المختلفة ، سواء في العاصمة أو في الأقاليم .

وبسبب هذه الأهمية التي كانت للوزير كان ينتخب من أعرق العائلات المخلصة للعرش المتفانية في ولائها وخدمتها له ، بل كان يعين أحياناً من أولياء العهد أو أبناء الملك أو أقارب الملك في بعض العصور ، وفي عصور أخرى كانت وظيفة الوزير وراثية . وفي ظروف خاصة جمع بعض الوزراء بين منصب الوزير ومنصب رئاسة كهنة إله الدولة الرسمي

وأقدم من ذكر من الوزراء وزير الملك مينا (نعرمر) : الموحد الأول لمصر القديمة ومؤسس الدولة القديمة (عصر التوحيد الأول) ، وقد جرت العادة في العصور الأولى من تاريخ الحضارة المصرية القديمة أن يكون وزير واحد للملك والدولة

وبابتداء عصر التوحيد الثاني (الدولة الوسطى) نجد على الأرجح ظاهرة جديدة في تاريخ ملوك مصر الأقدمين ، وهو أن اثنين من الوزراء يعاونان الملك في وقت واحد . ولكن نصوص هذا العصر لا ترينا تحديداً للاختصاص ، ولكن من الثابت أن الشئون المصرية القديمة للمملكة الفرعونية قد زادت في هذا العصر نتيجة لازدياد الفتوح الأجنبية ، مما يدل على أن الحاجة كانت ماسة لأكثر من وزير

أما في عصر التوحيد الثالث (الدولة الحديثة) ، فقد وصلتنا نقوش ونصوص كثيرة تعطينا فكرة عن مهام الوزير ، فقد كان لمصر وزيران أحدهما للشمال ، واختصاصه المنطقة التي تمتد من شمال أسيوط حتى البحر المتوسط ؛ والآخر للجنوب ، ومنطقته تمتد من جنوب أسيوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان مركز الأول عين شمس أو منف أو تانس (بر رمسيس) ، والثاني كان مركزه طيبة

وأهم المعلومات عن منصب الوزير يمكن استقاؤها من النقوش والنصوص المدونة على جدران مقبرة رخمي رع الذي كان وزيراً للملك تحتمس الثالث، وأوائل عصر الملك امنحتب الثاني، فنستنتج منها أن الملك هو الذي له حق تعيين الوزير . وكما أن الملك له حق تعيين الوزير فله الحق أيضاً في عزله كما دلت نصوص أخرى على ذلك

ومن الطريف أن الملك تحتمس الثالث عند تعيينه رخمي رع في منصب الوزارة للجنوب أسدى إليه الإرشاد ونصحه نصائح جليلة . وقد دلتنا النصوص على أن هذه التعليمات التي كان يقولها الملك لوزرائه كانت تقليدية ، إذ وجدناها تقال عند تعيين كل وزير . فقد عثرنا في مقبرة الوزير أوسر، خال الوزير رخمي رع، على نصوص تؤيد ذلك ، كما وجدناها قد وجهت إلى الوزير حابو وزير الملك تحتمس الرابع . من ذلك على سبيل المثال قولهم : « كن يقظاً لكل ما يجري في الوزارة . وإذا أتاك مشتك فيجب عليك أن تبحث بنفسك في شكايته ، عاملاً حسب القانون . ولتتبع الحق ولتعلم أن غضب الإله يحل على من يؤثر المحاباة ... لتكن معاملتك لمن لا تعرفه مثل معاملتك من تعرفه ، ولمن هو قريب منك مثل من هو بعيد عنك » . وزيادة على تعليمات الملك لوزيره بأن يحكم بالعدل ، وبألا يحابي أحداً كان يرشده إلى ما يجب اتخاذه يومياً . فيبدأ الوزير عمله في كل صباح بأن يقابل الملك ويعرض عليه المسائل الحكومية لكي يبدي فيها رأيه . ومن هذا نرى أن الملك كان هو الرأس المفكرة العليا التي تدير سياسة البلاد

وفي أثناء مقابلة الوزير للملك يكون رئيس المالية منتظراً عند إحدى ساريات القصر . فإذا خرج الوزير تداول معه في أمور الدولة . ثم بعد ذلك يدخل رئيس المالية على الملك ويعرض عليه

الشئون المالية وما اعترى خزينة الدولة من نقص أو زيادة (وطبيعى كانت فى شكل مواد أولية كالأخشاب والخضر والجلود والأقمشة وما أشبه) . وبعد ذلك يأمر الملك بفتح دواوين المصالح الحكومية . مما يدل على أن الملك كان يرشد كل وزير على ما يجب أن يبت فيه من أمور تهمه وتهم الدولة المصرية القديمة

وفضلاً عن إشراف الملك على وزير المالية ، كان أيضاً تحت رقابة ورئاسة الوزير الأول للدولة الذى كان يعتبر عندئذ كرئيس الوزراء الآن . إذ دلتنا النصوص على أنه كان يكتب التقارير للوزير الأول باستمرار ليطلعه على الحالة المالية العامة للدولة .

وقد كان منصب للوزير الأول للدولة فى هذه العصور القديمة من الأهمية الكبرى والمكانة العظمى ما لمنصب رئيس الوزارة فى العصور الحالية . فقد كان الرئيس الأعلى للقضاء . ففى مقبرة رحمى رع نجد رسماً لمجموعة قوانين مطوية فى أربعين ملفاً بردياً محفوظة داخل أغلفة من الجلد وموضوعة أمام الوزير بصفته القاضى الأعظم « ساب سبختى » وهو جالس فى دار المحكمة فى إحدى الجلسات العلنية . (مع ملاحظة أن المرجع الأخير للمسائل الجنائية كان الملك ، والمرجع الأخير فى المسائل المدنية كان الوزير)

كما كان وزير الحربية ؛ وبصفته هذه كان يشرف على الجيش والأسطول ، وبمعنى آخر كان الرئيس الأعلى للجيوش البرية والبحرية . وكان لمصر أسطول عظيم سطر فى سجل التاريخ انتصارات كبيرة . وكان الوزير أيضاً المشرف على الشئون الداخلية ، وبصفته هذه كان رئيساً للبوليس فى منطقة اختصاصه ومحافظاً للعاصمة .

ثم كان أخيراً المشرف على الشئون الزراعية .

نرى من كل ما سبق مبلغ ما كانت عليه مصر القديمة من رقى ومدنية فى الحضارة ، وترتيب وتنظيم فى الشئون الإدارية ، ودقة ومهارة فى تكييف الأمور والتصرف فيها

ذكتور
باهور لبيب

« عين شمس »

من أحلام الصحراء

للأديب محمد العلائى

إلى الدكتور « عزيز فهمي » :
هل تأذن لى يا أخي أن أهدى إليك هذه الصورة الوجدانية المحمومة ، وفاء لما أشعرتنى به قصيدتك من رقة الشاعر ، وحنان الأخ ، وكرم الصديق

موحشٌ ذلك الظلام ، فيالى ... من تهاويل وحدتى وخيالى !
قذف الليل رعبه فى ضميرى ... عن يمينى مخاوفٌ وشمالى
مزق الوهم خاطرى . كل شىء ... فى طريقى يَضجُّ بالأهوال
ملء نفسى كآبة ؛ وبسمعى ... صرخات الذئاب والأغوال
وعويل الرياح شرقاً وغرباً ... وهزيم الرعود فوق الجبال
والأفاعى لها هناك فحيح ... ينفث السم فى الحصى والرمال
ووراء الكثيب جنٌّ تغنّى ... بنشيد الردى ولحن الزوال
وكهوف بها جماجم موتى ... نبشتها الوحوش منذ ليال
وعلى الجانبين صيحات شؤم ... بعثرتها الرياح فى الأدغال
حوّم الموت واقشعرّ ضميرى ... ها هنا مصرعى ، وذاك مآلى

* * *

أنا يا ليل خائف قد تمشّت ... رعدة الموت فى دمى وعظامى
هائم لا أطيق رجع ظنونى ... والردى جاثم على أوهامى
ذاهل أنطوى على صرخات ... مزقتنى وفزّعت أحلامى
لست أقوى على المسير ، فرأسى ... مائل شلّهُ دوار الظلام
وذراعى بجانبى ليس فيها ... من حراك والشوك فى أقدامى
جسدى موجع وخلف لسانى ... حشرجات تردّ فىّ كلامى
وبحلقى شجىً يقطّع أنفا ... سى رف مقلتى بريق الحِمام
وبصدرى مواجعٌ ألهبتها ... وخزات المُدى ونزع السهام
آه ! خلف الضلوع جرح سأقضى ... وهو خلف الضلوع دون التئام
لم يعد غير خفقة ثم أمضى ... ليس خلٌّ هنا يوارى حطامى

محمد العلائى
كلية الآداب

في التصوير الإسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ٤ —

جعل الملوّح بن مزاحم يبحث طويلاً بين الحجاج عن ابنه « قيس » ، إلى أن ساق القدر إليه حادياً قادماً من ناحية نجد مع قافلة من الحجاج ، فأخبره الحادي أنه رأى في طريقه شاباً ناحلاً أشعث الشعر ممزق الملابس يضرب في البادية على غير هدى ، ولما اقترب منه وناداه فرّ هارباً واختفى في دغل قريب راح يراقب من خلال أشواكه الحادي وما عسى أن يصنع . وعرف الحادي المجنونَ وأراد أن يجتذبه إليه كي يستنشده بعض أشعاره فرفع صوته يغني أنشودة للمجنون يقول فيها[1] :

متى النفس ليلى قرّبي فاك من في
كما لفّ منقارَيهما غَردان
نَذُق قُبلة لا يعرف البؤس بعدها
ولا السُّقْمَ روحانا ولا الجسدان
فكل نعيم في الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان
ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلب في الجوانح ثان

واطمأن المجنون إلى الحادي حين سمعه يتغنى بذكر ليلى ، فثاب إليه رشده ، وأقبل من خلف الدغل نحو القافلة يسأل الحجاج[2] :

أحجاج بيت الله في أي هودج وفي أي خدر من خدوركم قلبي
أأبقى أسير الحب في أرض غربة وحاديكم يحدو بقلبي في الركب

ولما رآه الحادي مال إليه فجلس إلى جانبه يحدثه عن ليلى ويقص عليه ما سمعه من أخبارها ، والمجنون ينصت في شغف وشوق ، وقد هاج هذا الحديث في نفسه ذكريات الصبا ، فصار يقاطعه بين حين وآخر لينشد ما يخطر له من أناشيد حب قالها في حبيبته ليلى . إلى أن أقسم عليه الحادي أن ينشده أحسن ما قاله في وصف المحاجر والأطراف والبشرة والجلد . فقال[1] :

ليالي أصبو بالعشي وبالضحى إلى خُرَّدٍ ليست بسود ولا عُصل
منعمة الأطراف هِيفٌ بطونُها
كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل
وأعناقها أعناق غزلان رملة وأعينها من أعين البقر النجل
وأثلاثها السفلى بَرادِيٌّ ساحل
وأثلاثها الوسطى كثيب من الرمل
وأثلاثها العليا كأن فروعها عناقيد تُنَدّى بالدهان وبالغسل
وترمي فتصطاد القلوب عيونها وأطرافها ما تحسن الرمي بالنبل
زرعن الهوى في القلب ثم سقينه
صبابات ماء الشوق بالأعين النجل
رعابيبُ أقصدن القلوب وإنما
هي النبل ريشت بالفتور وبالكحل
فغيم دماء العاشقين مُطَلّةٌ بلا قَوَد عند الحسان ولا عقل
ويقتلن أبناء الصبابة عنوة أما في الهوى يارب من حَكَم عدل



وما انتهى المجنون من أنشودته هذه حتى لمح غزالاً يقفز متحيراً في الأفق البعيد فهب واقفاً وهو يقول[2] :

ألا يا شبه ليلى لا تراعي ولا تسلن عن وِرْدَ التلاع
لقد أشبهتها إلا خلالا نشوز القرن أو خمش الكراع

ثم جعل يعدو خلف الغزال حتى كاد يلحق به واختفى معه عن أعين الحادي وقافلة الحجاج

***

خرج زياد بن مزاحم يبحث عن ابن عمه « قيس » ،

(١) شوقي ص ٩٩ (٢) الديوان ص ٣٠

(١) الديوان ص ١٩ — ٢٠ (٢) الديوان ص ١٣

فوجده جالساً على ربوة قريبة ، يخطط بأصبعه فى التراب ، ويحدق أمامه نحو مضارب بنى عامر على سفح جبل التوباد . ولما عرفه المجنون ناداه فجلس إلى جانبه يحدثه عن أهل الحى وأخبارهم ، وعن رجوع والده من مكة — بعد سماع قصة الحادى — حزيناً مكتئباً ، وبقى زياد عنده يستنشده الشعر ويدون ما يسمعه منه . وجلسا ذات صباح يتحدثان فظهر لهما شبح امرأة قادمة نحوهما ، ثم أخذت تقترب منهما شيئاً فشيئاً حتى تبيناها ، فإذا بها « بلهاء » جارية المجنون وكانت تحمل بين يديها قصعة بها طعام ، وقام إليها المجنون يعانقها ويقبل يديها ، وتناول منها القصعة وهو يقول[1] :

أرى صنع أمى يا زياد ، فديتها ... بروحى وإن حمّلتها الهم والبَرْحا

ثم نزع عن القصعة غطاءها فوجد بها ذبيحة مشوية ، فعجب لذلك والتفت إلى زياد مستفهماً ، إذ لم يكن فى الوقت ما يدعو إلى ذلك . وسأل زياد البلهاء أن تحدثهما بخبر هذه الذبيحة ولا تكتم عنهما شيئاً من حقيقة أمرها فقالت :

لقد مرَّ عرّاف اليمامة بالحَى ... فما راعنا إلا زيارته صبحا
طوى الحى حتى جاء عن قيس سائلاً ... وأظهر ما شاء المودّةَ والنصحا
ولاحت له شاةٌ جثوم بموضع ... تخيلها ظلاً من الليل أو جنحا
فقال اذبحوها اتيك فالخير عندها ... فقام إليها يافع يحسن الذبحا
فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها ... فلم نألُ قلب الشاة نزعاً ولا طرحا
فلما شويناها رَقَى بعزائم ... عليها وألقى فى جوانبها اللحا
وقال اطلبوا قيساً فهذا دواؤه ... كأنى به لما تناوله صحّا

وحث زياد قيساً على أن يأكل من الشاة متوسلاً إليه بقوله :

تعلل قيس بالشاة ... عساها تذهب الحبا
فما العراف بالمجهو ... ل لا علماً ولا طبّا
طبيب جرّب اليابس ... فى الصحراء والرّطبا
وتلك الأمُّ ياقيس ... أطعها تطع الرّبا

وأراد قيس أن يجامل زياداً ويتذوق شيئاً من الشاة فقال :

زياد اسمع وكن عونى ... وخل اللوم والعتبا
إذا ما لم يكن بُد ... فإنى آكل القلبا

وسرت بلهاء بذلك ومدت يدها إلى صدر الشاة تبحث فيه عن القلب ... ولكنها تفقدته فلم تجده ، فاضطربت وجعلت تخاطب نفسها :

(1) شوقى ص ٢٩ وما بعدها

القلب ! أين القلب ؟ أيـــن يا ترى وضعته ؟
ياويح لى ! نسيتُ أنى ... بيدى نزعتـــه !

وكان فى ذلك فصل الخطاب ، فرفض قيس الطعام والدواء وهو يبكى أحر البكاء ويقول :

وشاة بلا قلب يداوونى بها ... وكيف يداوى القلب من لا له قلب

ورجعت بلهاء إلى الحى تجر أذيال خيبتها ، وروت لقومها ما حدث ؛ فاجتمعوا فى بيت الملوح يتشاورون فى أمر المجنون . ومرَّ بهم بعض الأطباء فسأله الملوح عما يعالج ؛ فقال أعالج كل مسحور مجنون ، قال : مكانك لآتيك بابن لى يهيم فى الصحراء ؛ فخرجوا فى طلبه . فما زالوا يطلبونه حتى أحضروه وأدخلوه إلى المعالج ، وأقبل يسقيه ؛ فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول[1] :

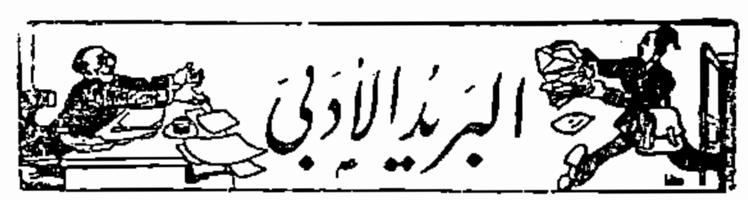
ألا ياطبيب الجن ويحك داونى ... فإن طبيب الأنس أعياه دائيا
أتيت طبيب الأنس شيخاً مداويا ... بمكة يعطى فى الدواء الأمانيا
فقلت له يا عم حكمك فاحتكم ... إذا ما كشفت اليوم يا عم ما بيا
فخاض شراباً بارداً فى زجاجة ... وطرّح فيه سلوة وسقانيا
فقلت ومرضى الناس يسعون حوله ... أعوذ برب الناس منك مداويا
فقال شفاء الحب أن تلصق الحشا ... بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا

ثم جعل يعض شفتيه ولسانه حتى خلاه أهله . فنهض المجنون ومضى إلى ربوات جبل التوباد يسعى وراء الذكريات والسلوة .

وفى (شكل ١) ترى المجنون وقد ارتمى على الأرض يقبل قدمى البلهاء التى تحاول أن تمنعه من ذلك . وهذه الصورة[2] من مخطوط كتب فى مدينة هرات حوالى سنة ١٤٥٠م .

(يتبع) محمد مصطفى

(1) الديوان ص ٦١ (2) منقولة من : Martin, II, 62



حول لفظ «الفشل»

أجمع اللغويون على تفسير «الفشل» بالجبن والفزع والضعف، أو هو ضعف مع جبن، كما قال بعضهم. ولم يخرج مفسرو القرآن الكريم عن ذلك في الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ: كقوله تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا» «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا» «حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر»

ولكن الكتاب لهذا العهد درجوا على استعمال «الفشل» بمعنى الإخفاق والخيبة، وأهملوا الوضع الأصلي للكلمة.

ولقد كنت نبهت على هذا الخطأ منذ بعيد في إحدى المجلات[1]. وما كنت لأعود إليه، لولا أن رأيت في الرسالة عدد ٥٤٥ كلاماً في هذا الموضوع للأستاذ الجليل عباس محمود العقاد يرد به على الشيخ الفاضل محمود أبي رية

فقد عثر الشيخ في كتاب «عبقرية الإمام» «ببعض ألفاظ كان يقف عندها، مثل: ... وفشل ص٨١ و٩٦ و ١١٠ و ١٢٦» قال: «هل يجوز استعمال كلمة (فشل) في معنى أخفق وخاب؟»

فقال الأستاذ العقاد في رده: أما (فشل) بمعنى أخفق فلها حكم آخر. فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذي شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم، مع تقارب المعنيين، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر، لأن التراخي والضعف والخواء قريبة كلها من الهبوط والإخفاق»

وأنا أقول إن الإخفاق لا يلازم الضعف والتراخي حتماً؛ فقد يكون الإخفاق نتيجة للضعف، أو ما يدور حول الضعف من المعاني. وقد يكون نتيجة لعوامل أخرى لا تمت للضعف بصلة؛ فقد يخفق الشجاع، وينجح الجبان الضعيف في أمر واحد يحاولانه معاً؛ فالضعف شيء، والإخفاق شيء آخر

ولو صح هذا التقارب بين المعنيين (حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر)، لجاز أن يطلق الإخفاق ويراد به الضعف أو ما يلابسه من المعاني، فيقال مثلاً: أخفق فلان في كذا، أي ضعف وجبن، وهو ما لا يمكن في اللغة

وقال الأستاذ العقاد في دفاعه أيضاً: «وتجدد المعاني على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات، وفي مقدمتها اللغة العربية، فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم، وتعقبنا معانيها في العصور المختلفة، لما وجدنا خمسين أو ستين فيها ثابتة على معنى واحد في جميع العصور. وربما غلب المعنى الجديد، وبطل المعنى القديم وهو أصيل في عدة كلمات»

«خذ مثلاً كلمتي الجديد والقديم، وكيف ظهرا، ثم كيف تحولا[1] إلى الغرض الذي نعنيه الآن. فالثوب الجديد هو الثوب الذي قطع حديثاً من (جده) فهو جديد أو مجدود. وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها كما نقطعها اليوم؛ فيسمونها جديدة من أجل ذلك»

«ثم نسيت كلمة (الجديد) بمعنى المقطوع؛ فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تبيين. وأصبحنا نعبر بالجدة عن أمور لا تقطع ولا هي من المحسوسات. فنقول (المعنى الجديد) و (الفكر الجديد)، وما شابه هذه الأوصاف[2]»

ثم ساق الأستاذ أمثلة أخرى لهذا من اللغة المأثورة، وشرح تطور المعنى فيها وتحوله[3]

وأنا أقول إن هذا قياس مع الفارق. فإن العرب هم الذين استعملوا «الجديد» - مثلاً - في المعنى الأصلي وما تفرع عليه بعد ذلك من المعاني، للعلاقة التي شرحها الأستاذ، تجوزاً سائغاً.

---

(1) أذكر أني أسمحت شيئاً ما في هذا التنبيه، ولكني الآن أعود إلى موقف التشدد.

(1) هكذا. وهو سهو

(2) في قوله: (وأصبحنا نعبر بالجدة ... الخ) شيء من التسامح في التعبير، إذ العرب هم الذين عبروا من قبل. وكذا يقال في قوله بعد ذلك «وقد نسي الناس (كتب السير) بمعنى قيده، وأطلقوها اليوم على الخط في الورق.

(3) راجع ص ٩٨٢ من الرسالة

وهكذا ديدنهم في المجاز والاستعارة يلحظون العلاقة والمناسبة بين المعنيين ، فيستعيرون لفظ المعنى القديم للمعنى الجديد[1]؛ فتتفرعت اللغة بهذا واتسعت ، وتحولت المعاني ، وتولد بعضها من بعض ، حتى عادت المعاني المجازية أضعاف الحقيقية الأصلية

فالأستاذ العقاد جاء بأمثلة من المعجمات ليشرح بها هذا التحول المجازي ، المنبعث من مقتضيات التطور الطبيعي في الأمة على مر العصور

ولا كذلك نرى الحال في لفظ (الفشل) : فهذا لفظ سَلِمَ لنا بمعناه كاملاً ، لم يتحول ولم يتطور . وصان هذا المعنى القرآن الكريم . ثم تنقل في العصور هكذا ، عصراً بعد عصر ، حتى إذا كان عصرنا هذا أخطأ في فهمه الناس ، وتناقلوا هذا الخطأ ، وثبتوا عليه ، ثم تلمسوا له المعاذير[2]

فليس تحوله من معناه الوضعي إلى المعنى الفاشي الآن خاضعاً لسنة التطور الطبيعي التي تخضع لها اللغات جميعاً وإنما هو وليد الخطأ في الفهم

وليس معنى هذا أنه يمتنع التجوز في هذا اللفظ على الإطلاق وإنما ندّعي هنا – كما أسلفنا – انعدام التقارب بين الإخفاق والضعف – على الوجه الذي قرره الأستاذ – ومن ثَمّ ننكر « أن يحمل أحدهما قصد الآخر »

ثم نحا الأستاذ في دفاعه منحى آخر فقال :

على أنني حين استعملت كلمة (فشل) لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون ؛ فقلت : (يحاول الغلبة من حيث فشل) ولو جعلت « فشل » هنا بمعنى ضعف ، لكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة »

ثم ساق عباراته الثلاث الباقية التي استعمل فيها كلمة (الفشل) وأولها على هذا النحو

ولكننا إن أسغنا فهم (الفشل) في هذه العبارة بمعنى الضعف ، فكيف يمكن أن نسيغه في قوله : « ولا طائل في البحث عن علة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع في الملك بعد فشل علي ، أم النقمة على الأشتر »

أو في قوله :

« مُنِي بالفشل ، لأنه عمل بغير ما أشار به أصحابه الدهاة »

أو في قوله :

« ولكنها خطة سلبية لا يمتحن بها رأي ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

أترك هذا لحكم القراء ولذوقهم

هذا ما عناني من مقال الأستاذ الجليل ، علقت عليه بما عن لذهني الكليل

وبعد فليس من التزمت في شيء أن نحارب أوضاعاً واستعمالات ليست من صميم اللغة الصحيحة ، ولا هي مما يخرّج تخريجاً مجازياً مقبولاً

وليس من التزمت في شيء أن نعمل على أن نفهم لغة الفصحاء وكلام الله تعالى على الوجه الصحيح .

(ا . ع)

١ – هل عرفنا المؤلف

كان العلامة الأمير شكيب أرسلان نشر كتاب (محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي) غفلاً من اسم مؤلفه وقد رأيت في الجزء الثاني من (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي) في ترجمة احمد بن محمد المعروف بابن زيد أن له تأليفاً بهذا الإسم عينه ، ثم رأيت في فهرس دار الكتب المصرية مخطوطة بهذا الإسم نفسه منسوبة إلى الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني

وابن زيد المذكور معاصر لابن حجر وممن سمع عليه بدمشق كما يقول السخاوي . فلو كان له تأليف بهذا الإسم لعرف ذلك ابن زيد فسمى كتابه باسم آخر ، ولما خفي ذلك على السخاوي — وهو التلميذ الملازم لابن حجر وأعرف الناس بمؤلفاته — فيشير إليه في ترجمة ابن زيد على احتمال اتفاقهما في الإسم . ولعل الاطلاع على مخطوطة الدار تؤيد ما أذهب إليه .

٢ – أول غلط

قال (الأستاذ الجليل) الناقد المحقق في كلمته القيمة عن (لامية شمعلة بن غريض) – في العدد ٥٥٢ من الرسالة – : وروى الإمام المرزباني في « معجم الشعراء » لشمعلة مقطوعة ختامها هذا البيت :

وأجتنب المقاذع حيث كانت   وأترك ما هويت لما خشيت

---

(١) كما هو شأن غيرهم في سائر اللغات

(٢) كما حدث في كثير من الكلمات الشائعة الآن في أقلام الكتاب حتى علية منهم . ولكنهم يطرقون في تسويغها أبواب المجاز ودون المجاز « عقبات » لا تخفى عليهم . فليس كل مجاز مقبولا ، ولا كل استعارة معقولة . وإنما يلجأ إلى المجاز لغرض بلاغي .

والصواب أن راوى المقطوعة هو الإمام الآمدى فى كتابه « المؤتلف والمختلف » وسبب غلط الأستاذ هو أن الكتابين « المعجم والمؤتلف » مطبوعان معاً فى مجلد واحد .

عبد ناصر ...

أدبى أدب من

وصل خطاب من السودان يدعونى فيه كاتبه إلى أن أصحح ماينسب إلىّ فى بعض الجرائد والمجلات من الخروج فى كتاباتى عما ألف الناس فى دنيوات التقاليد ، لئلا يؤذينى ذلك التجريح

وأقول إنى لا ألتفت إلى ما يكتب عنى ؛ ولا أدير بالى إلى خصومى ، لأنهم لا يصلحون للحكم فى قضية الأدب الرفيع

الأدب ليس مناحة تقام فى أحد الميادين على موت الأخلاق ، كما يفعل المرتزقون باسم الأخلاق ، وإنما الأدب هو الفهم لأسرار الوجود والتعبير عن أسرار الوجود ، بأصرح عبارة وأصدق بيان

إن كان فى الدنيا من يبكى على الأخلاق فسأكون أول الباكين على الأخلاق

كان قلمى الرائد لحرية الفكر والرأى ، وما رأيت إنساناً يتحاشى بقلمه إلا تذكرت أن لى فى عنقه ألف جميل وجميل ، وإن كان الحزن يعصر قلبي حين أتذكر أن المنتفعين بأدبى لم يتخلقوا بأخلاق ، فقد كنت أحب أن يصيروا إلى ما صرت إليه من الاستغناء بالله عن الناس

لأكثر الخلائق فى هذا العصر سناد ، وأنا وحدى بلاسناد ؛ لأنى أعتمد على صاحب العزة والجبروت ، أعتمد عليه أمناً لا خوفاً ، لأنى آمن غضبه على أرباب القلوب

أدبى هو الأدب الحق ، فليبك ناس على أنفسهم لأنهم زوروا عواطفهم وسخروها لخدمة الفانين بصورة ملفوفة لا تزيد فى قوتها عن ثوب الرياء .

زكى مبارك

إصلاح تطبيع

فى المقالة « لامية شمية بن غريض » : الربيع بن الحقيز وهو الربيع بن الحقيق .